رسالة ابن كيران.. بتأييد المولى سليمان في ردّه على البيضاوي تفسيره لقوله تعالى: "إنّا عرضنا الأمانة.." الآية (*)

دراسة وتحقيق: د. شافع ذيبان الحريري (**)

(*) العنوان الأصلي للمخطوطة هكذا [رسالة ابن كيران في مراجعة المولى سليمان في رده تفسير البيضاوي قوله تعالى: (إنّا عرضنا الأمانة...) الآية.]، وعلة هذا التصرف، هو زيادة التوضيح.

(**) أستاذ التفسير وأصوله المساعد في كلية الشريعة واللغة العربية بجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية (فرع رأس الخيمة).

ملخص البحث:

فسَّر الإمام البيضاوي – رحمه الله – العرض والإباء والإشفاق في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾[الأحزاب: ٧٢]، على ضربٍ من التأويل، فلا ثمَّ عرضٌ ولا اختبار ولا إباء ولا إشفاق على الحقيقة، ولا عرضٌ على الإنسان وقبول منه على تلك الطريقة، وإنما هي من باب التصوير والتمثيل، والله سبحانه وتعالى خلق الجمادات على صفة لا تصلح للتكليف، وعلمَ منها ذلك، وخلق الإنسان على صفة تصلح للتكليف وعلم منه ذلك، فكلّفه، وأن هذا هو مقتضى حكمته في الكل.

وَبيَّنَ أن المراد بالأمانة: العقل والتكليف، وبعرضها على السموات والأرض والجبال، اعتبار ما بالإضافة إلى استعدادهن، وبإبائهن الإباء الطبيعي الذي هو عدم اللياقة والاستعداد، وبحمل الإنسان قابليته واستعداده.

فاعترض على ذلك المولى سليمان، ووجّه الآية على ظاهرها، وكتب بذلك إلى شيخه ابن كيران، فتلقف خطابه، وشرحه برسالة انتصر فيها لمذهب الجمهور، مسترشداً بما في الدر المنثور من أن العرض والإباء حقيقيان، وأن العرض عرض تخيير، لا عرض عزيمة وتحتيم، فكان الإباءُ إباءَ خوفٍ وإيثارٍ، لا إباءَ مخالفةٍ وعصيان.

المقدمة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير نبي مرسلٍ نقتدي به، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فهذه الرسالة لابن كيران.. بتأييد المولى سليمان في ردّه على البيضاوي تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ۝٧٢﴾[1]، مراجعة نفيسة بمحتواها، وفي تصحيح ما ذهب إليه البيضاوي - رحمه الله - من تأويله للآية، رأيت تحقيقها ونشرها، والعناية بها، وإظهارها إلى حيز النور، لما حوته من المعاني الصحيحة، والنكت العلمية البديعة، وللإفادة في تحقيق معنى الإباء من قبل السموات والأرض والجبال، عندما عرضت الأمانة عليهن، وإشفاقهن على أنفسهن من حملها لثقلها وعظمها، وللوقوف على المقصود من عرض الأمانة على الجمادات، أهو ضرب مثل، كما ذهب إليه الإمام البيضاوي وبعض المفسرين، أم إنه حقيقةٌ في العرض، كما هو ظاهر الآية؟.

وهذه الرسالة وإن كانت صغيرة في حجمها، فهي كبيرة في معناها، عزيزة في بابها، وقد جاءت دراستي لهذه المخطوطة على النحو الآتي:

- ترجمت للمؤلف ترجمة مسهبة، وأوجزت في ترجمة البيضاوي والسلطان سليمان.
- حاولت أن أقدّم دراسة وافية للآية الكريمة موضوع الرسالة، من وجهة نظر المفسرين، فبينت معنى الأمانة، والعرض، والإباء، والإشفاق، وما المقصود بالإنسان الذي عرضت عليه الأمانة، وكذلك معنى قوله تعالى: ﴿ظَلُومًا جَهُولًا﴾.

(١) الأحزاب: ٧٢.

- عرّفت بنسختي المخطوط (رسالة ابن كيران)، وحققت نسبتها إليه، وذكرت الباعث له على تأليفها، وبينت منهجه، ومصادره فيها، ووصفت نسختيها.
- وأخيراً شرحت طريقة عملي ومنهجي في تحقيق الرسالة.

والله سبحانه وتعالى أسأل أن ينفع بنشر هذه الرسالة طلاب العلم، وأن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، وذخيرة لي يوم الدين، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

ترجمة الإمام البيضاوي - رحمه الله تعالى -.

هو الإمام القاضي ناصر الدين أبو الخير، عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي البيضاوي[١]. ولد في البيضاء قرية قرب شيراز من بلاد فارس[٢]. قاضي شيراز، وعالم أذربيجان، وتلك النواحي[٣].

توفي سنة خمس وثمانين وستمائة بتبريز[٤]، وقيل سنة إحدى وتسعين وستمائة[٥]. والأول أرجح.

قال ابن كثير (ت ٧٧٤هـ): "وقد أوصى إلى القطب الشيرازي[٦] أن يدفن بجانبه بتبريز، والله سبحانه أعلم"[٧].

أقوال العلماء فيه:

- قال تاج الدين، عبد الوهاب السبكي (ت ٧٧١هـ): " كان إماماً مبرزاً، نَظَّاراً، خيّراً، صالحاً، متعبداً "[٨].

---

(١) طبقات الشافعية، للسبكي: ٨/١٥٧، ومفتاح السعادة: ٢/١٠٣.
(٢) الإتحاف بتمييز ما تبع فيه البيضاوي صاحب الكشاف: ١ق.
(٣) البداية والنهاية: ١٣/٣٢٧.
(٤) البداية والنهاية: ١٣/٣٢٧، وشذرات الذهب، لابن العماد: ٧/٦٨٦، ومعجم طبقات الحفاظ والمفسرين، للسيروان: ٢٤٣.
(٥) طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي: ٨/١٥٧.
(٦) هو محمود بن مسعود بن مصلح، الفارسي، الشيرازي، الملقب بـ (قطب الدين الشيرازي (ت٧١٠هـ))، [طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي: ١٠/٣٨٦].
(٧) البداية والنهاية: ١٣/٣٢٧.
(٨) طبقات الشافعية الكبرى: ٨/١٥٧.

- وقال الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب (ت ٧٧٩ هـ): "عالم نما زرعُ فضله ونَجَم، وحاكمٌ عظمت بوجوده بلاد العجم، برع في الفقه والأصول، وجمع بين المعقول والمنقول"[(١)].
- وقال الحافظ شمس الدين محمد بن علي الداودي (ت ٩٤٥هـ): "كان إماماً علامةً عارفاً بالفقه والتفسير والأصلين - أي: أصول العقيدة والفقه - والعربية والمنطق، نظَّاراً صالحاً متعبداً زاهداً شافعياً"[(٢)].

مصنفاته[(٣)]:

صنَّف الإمام البيضاوي التصانيف المشهورة في أنواع العلوم، حظيت باهتمام العلماء وثناء الأئمة عليها، أذكر أهمها، مرتبة حسب حروف الهجاء:

- الإيضاح، في أصول الدين.
- تهذيب الأخلاق، في التصوف.
- شرح التنبيه، (في أربعة مجلدات).
- شرح الكافيه، في النحو.
- شرح المحصول.
- شرح المصابيح[(٤)]، في الحديث.
- شرح المطالع، في المنطق.
- شرح المنتخب، في الأصول.
- الطوالع، في علم الكلام.
- الغاية القصوى، وهو مختصر "الوسيط" في فقه الشافعية.

---

(١) طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبه: ٢/ ٢٨.
(٢) طبقات المفسرين: ١/ ٢٤٨.
(٣) انظر طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة: ٢/ ٢٩، وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ٢٤٨، ومفتاح السعادة: ٢/ ١٠٥، وهدية العارفين: ٥/ ٤٦٣، والأعلام، للزركلي: ٤/ ١١٠.
(٤) مصابيح السنة، للإمام حسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦ هـ). [كشف الظنون ٢/ ١٦٩٨].

- لب الألباب في علم الإعراب "مخطوط".
- مختصر الكشاف، وسماه "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" وهو الكتاب المشهور بتفسير البيضاوي.
- المنهاج في الأصول، وهو مختصر من الحاصل والمصباح.
- نظام التواريخ، كتبه بالفارسية "مخطوط".

ترجمة السلطان المولى سليمان - رحمه الله تعالى -.

هو سليمان بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل، (أبو الربيع)، الشريف العلوي، من سلاطين دولة الأشراف العلويين في مراكش (المغرب الأقصى). ولد عام ثمانين ومائة وألف.

بويع بفاس سنة (١٢٠٦هـ)، بعد وفاة أخيه المولى يزيد، وامتنعت عليه مراكش، فزحف إليها سنة (١٢١١هـ)، فبايعه أهلها، وأقام فيها مدة ثم استوبأها، فانتقل إلى مكناسة. كانت أيامه كلها أيام ثورات وفتن وحروب، انتهت باستقرار الملك له في المغرب الأقصى. كان عاقلاً باسلاً، محباً للعلم والعلماء، جمع بين الملك والعلم، والعمل والخير، والدين والكرم، والجود، وإسناد المناصب لمستحقيها، وله الفكر السلفي السليم من الانحرافات والاعتقادات الفاسدة. له آثار في عمران فاس وغيرها.

قال عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني (ت ١٣٨٢): " كان من نوادر ملوك البيت العلوي في الاشتغال بالعلم، وإيثار أهله بالاعتبار"[١]. له حواش وتعاليق على موطأ الإمام مالك (ت ١٧٩هـ)، وشرح المواهب اللدنية لمحمد بن عبد الباقي الزرقاني (ت ١١٢٢هـ)، وحاشية على شرح الخرشي على المختصر في مجلدين. ومن كتبه: " عناية أولي المجد بذكر آل الفاسي ابن الجد - ط "، ورسالة في " السماء - خ "، ورسالة في " الغناء - خ ".

جمع له كاتبه المؤرخ الزياني[٢] (ت ١٢٤٩هـ) فهرساً لأسماء شيوخه

---

(١) فهرس الفهارس: ٢/٩٨٣.

(٢) هو أبو القاسم بن أحمد بن علي بن إبراهيم الزياني. [فهرس الفهارس: ١/٤٦٤].

سماه "جمهرة التيجان في ذكر الملوك وأشياخ مولانا سليمان"، في جزء صغير.

وفاته:

كانت وفاته بمدينة مُراكش في الثالث عشر من ربيع الأول، عام ثمانية وثلاثين ومائتين وألف، ودفن بضريح جده المولى علي الشريف بباب آيلان من مراكش، وولي مكانه الإمارة بالمغرب ولد أخيه، المولى عبد الرحمن بن هشام ابن سيدي محمد بن عبد الله (ت ١٢٧٦هـ)(١) بإيصاء منه، لأنه رأى في أولاده عدم الصلاحية للأمر، وتوفي ولده الذي كان أهلاً للإمارة في حياته، وهو المولى إبراهيم، وهذه المنقبة - كونه أخرج الملك من عقبه نظراً للصالح العام - كافية للدلالة على سموِّ فكر هذا الرجل، واستقامته ونزاهته(٢).

ترجمة الإمام ابن كيران - رحمه الله تعالى ..

هو محمد الطيب بن عبد المجيد بن عبد السلام بن كيران، أبو عبد الله.عالمٌ محققٌ نَقَّادٌ، وحافظٌ متقنٌ تَفَرَّد في وقته بالجمعِ بين عِلمي المعقول والمنقول والفروع والأصول، يَعرفُ أكثر الفنونِ، وهو ممَّن حصَّل رُتبة الاجتهاد في زمنه، ولد بفاس سنة (١١٧٢هـ)(٣).

شيوخه:

تلمذ ابن كيران لمشيخة جليلة من أئمة عصره، وتفقَّه بهم، وأفاد منهم، وسنذكر أشهرهم على وفق حروف المعجم كما يأتي:

١ - عبد القادر بن أحمد بن العربي بن شقرون (ت ١٢١٩هـ)(٤).

---

(١) الاستقصا: ٩/ ٧٧.

(٢) انظر في ترجمته: إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع: ٧/ ٢٠١٤، والاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: ٨/ ٨٦-١٦٦، وفهرس الفهارس: ٢/ ٩٨٠-٩٨٤.

(٣) الفكر السامي: ٢/ ٢٩٥.

(٤) السابق نفسه.

٢ – عبد الكريم بن علي بن عمر بن أبي بكر بن إدريس الزهني اليازغي (ت ١١٩٩هـ)[١].

٣ – عمر بن عبد الله بن عمر بن يوسف الفاسي (ت ١١٨٨هـ)[٢].

٤ – محمد بن الحسن بن مسعود بناني (ت ١١٩٤هـ)[٣].

٥ – محمد بن عبد السلام بن عبد الله الناصري (ت ١٢٣٩هـ)[٤].

٦ – محمد بن قاسم جسوس الفاسي (ت ١١٨٢ هـ)[٥].

٧ – محمد التاودي بن محمد الطالب بن سودة المري القرشي (ت ١٢٠٩هـ)[٦].

٨ – محمد فتحا بن طه الهواري (ت ١٢٢٠هـ)[٧].

تلاميذه:

أخذ عن ابن كيران جماعة من أهل العلم، فانتفعوا به، واقتبسوا من علمه الغزير، وفيما يأتي ذكرٌ لأبرزهم وفقاً لحروف الهجاء:

١ – أحمد بن عبد السلام بن محمد بناني (ت ١٢٣٤ هـ)[٨].

٢ – أحمد بن محمد بن عجيبة التطاوني (ت. ١٢٦٦هـ)[٩].

٣ – أحمد بن محمد المريني (ت ١٢٧٧هـ)[١٠].

٤ – إدريس بن عبد الله بن عبد القادر الودغري (ت ١٢٥٧هـ)[١١].

---

(١) إتحاف المطالع: ٧/٢٤٣٠.
(٢) الفكر السامي: ٢/٢٩٢.
(٣) إتحاف المطالع: ٧/٢٤١٨.
(٤) الأعلام: ٦/٢٠٦.
(٥) الفكر السامي: ٢/٢٩١.
(٦) شجرة النور الزكية: ٣٧٢.
(٧) سلوة الأنفاس: ١/٣٠٧-٣٠٨.
(٨) إتحاف المطالع: ٨/٢٨١٢.
(٩) شجرة النور: ٤٠٠.
(١٠) المرجع السابق: ٤٠٢.
(١١) الفكر السامي: ٢/٢٩٥.

٥ – العربي بن الهاشمي الزرهوني (ت ١٢٦٠ هـ)[١].

٦ – سليمان بن محمد بن عبد الله، الشريف العلوي، المعروف بـ (السلطان المولى سليمان)، (ت ١٢٣٨ هـ)[٢].

٧ – عبد السلام الجيز (ت ١٢٦٤هـ)[٣].

٨ – عبد السلام بن الطايع بن غالب (ت ١٢٩٠هـ)[٤].

٩ – عبد الله الوليد بن العربي العراقي (ت ١٢٦٥هـ)[٥].

١٠– عبد الهادي بن عبد الله بن التهامي الشريف (ت ١٢٧١هـ)[٦].

١١– علي بن إدريس بن علي قصّاره (ت ١٢٥٩هـ)[٧].

١٢– علي بن محمد بن جلون (ت ١٢٩٢ هـ)[٨].

١٣– محمد بن أبي بكر الزهني (ت ١٢٣٨هـ)[٩].

١٤– محمد بن أحمد السنوسي الحسني (ت ١٢٥٧هـ)[١٠].

١٥– محمد التهامي البدري (ت ١٢٤٣هـ)[١١].

١٦– محمد بن الحسن آقصبي (ت ١٢٥٠هـ)[١٢].

١٧– محمد بن حمدون بن الحاج (ت ١٢٧٤هـ)[١٣].

---

(١) شجرة النور: ٣٩٨.
(٢) إتحاف المطالع: ٧/ ٢٥١٤.
(٣) شجرة النور: ٣٩٩.
(٤) الفكر السامي: ٢/ ٣٠١.
(٥) المرجع السابق: ٢/ ٢٩٥.
(٦) (١٠) شجرة النور: ٤٠١.
(٧) (١١) شجرة النور: ٣٩٨.
(٨) المرجع السابق: ٤٠٤.
(٩) السابق نفسه: ٣٧٦.
(١٠) المرجع السابق: ٣٩٧.
(١١) السابق نفسه: ٣٧٦.
(١٢) الأعلام: ٦/ ٩٢.
(١٣) شجرة النور: ٤٠١.

١٨- محمد بن عبد الرحمن الغلالي الحجرتي (ت ١٢٧٥هـ)[١].
١٩- محمد بن عبد الله الشاوي الفاسي (ت ١٢١٧هـ)[٢].
٢٠- محمد العربي قصاره (ت ١٢٥٧هـ)[٣].
٢١- محمد بن عمر أبو عبد الله الزروالي (ت ١٢٣٠هـ)[٤].
٢٢- محمد بن محمد بن إبراهيم الدوكالي (ت ١٢٤١هـ)[٥].

مصنفاته[٦]:

ألّف ابن كيران تآليف كثيرة مفيدة، معظمها تحقيقات وتحريرات، ودرر وغرر، وهي أشهر - بين طلبة المغرب - من قام زيد، وهذا أبرزها:

- تفسير القرآن العظيم (من سورة النساء إلى قوله تعالى: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ ...﴾[٧] (من سورة غافر)، واخترمته المنية.
- تفسير الفاتحة.
- حاشية على أوضح المسالك.
- رسالة في "دفع وصمة الشرك عن جمهور مسلمي العصر" - خ -.
- شرح ألفية العراقي في السيرة.
- شرح توحيد ابن عاشر.
- شرح الحكم العطائية.
- شرح الخريدة، في المنطق.
- شرح رسالة مولانا سليمان، في الكسب.
- منظومة في المجاز والاستعارة.

---

(١) الفكر السامي: ٢/ ٣٠٠-٣٠١.
(٢) الأعلام: ٦/ ٢٤٢.
(٣) شجرة النور: ٣٩٧.
(٤) السابق نفسه: ٣٧٧.
(٥) السابق نفسه: ٣٨١.
(٦) انظر شجرة النور الزكية: ٣٧٦-٣٧٧.
(٧) غافر: ٣٩.

وفـاته:

توفي بالشهدة في المحرم سنة (١٢٢٧هـ)، ودفن بروضة العلماء بالقباب (بمدينة فاس) بالقرب من ضريح الشيخ الوزير الغساني[١] - رحمه الله تعالى -[٢].

دراسة الآيـة الكريمة

قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾[٣].

أولاً: معنى الأمانة:

اختلف المفسرون في تفاصيل تأويل الأمانة والمراد منها على أقوال كثيرة، منها: أنه أراد بالأمانة: الطاعات والفرائض[٤] التي فرضها الله على عباده، والتي يتعلق بأدائها الثواب، وبتضييعها العقاب، وتشمل أمانة الأموال كالودائع وغيرها مما لا بينة عليه[٥]، وغسل الجنابة أمانة[٦]، والفرج أمانة، والأذن أمانة، والعين أمانة، واللسان أمانة، والبطن أمانة، واليد أمانة، والرِّجل أمانة[٧]، وقضاء الدين أمانة[٨]، والعدل في المكيال والميزان أمانة[٩]، وحدود الدِّين أمانة، والوفاء بالعهد أمانة، وحفظ السرِّ بين المرأة وزوجها أمانة، وحديث المجلس بين الرجلين إذا التفت أو قال: اكتم. أمانة[١٠].

---

(١) هو محمد بن عبد الوهاب الغساني الأندلسي (ت ١١١٩هـ).[الأعلام: ٦/٢٥٦].

(٢) انظر في ترجمة ابن كيران: الاستقصا: ٤/١٤٩، وسلوة الأنفاس: ٣/٢، وشجرة النور الزكية: ٣٧٦-٣٧٧، وإتحاف المطالع: ٧/٢٤٨٧.

(٣) الأحزاب: ٧٢.

(٤) انظر تفسير ابن جرير الطبري: ٢٢/٥٧، وزاد المسير: ٦/٤٢٧، وتفسير الفخر الرازي: ٢٥/٢٣٥، وتفسير الجلالين: ٥٦٤، وأضواء البيان: ٦/٦٠٥.

(٥) التفسير المنير: ٢٢/١٢٧.

(٦) الدر المنثور: ٦/٦٧١.

(٧) فتح القدير: ٤/٣٠٨.

(٨) معالم التنزيل: ٣/٥٤٦.

(٩) السابق نفسه.

(١٠) الدر المنثور: ٦/٦٧١.

وقال قتادة: الأمانة: الدين والفرائض والحدود(١).

وكل هذه الأقوال لا تنافي بينها، والاختلاف فيها اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، بل هي متفقة وراجعة إلى أنَّها التكليف وقبول الأوامر والنواهي، وهي تعمُّ جميع وظائف الدين(٢).

ثانياً: المراد بالعرض والإباء والإشفاق.

تباينت أقوال العلماء والمفسّرين في معنى العرض والمراد به، هل هو على الحقيقة كما هو ظاهر الآية؟ أم أنه مؤول على سبيل ضرب المثل، أو من قبيل المجاز؟ وذلك على قولين فيهما تفصيل:

١ - ذهب بعض أهل العلم، وكثير من المتكلمين إلى أن الآية لا يراد منها ظاهرها، بل هي مؤوَّلة، وذهبوا في تأويل العرض إلى ثلاثة مذاهب:

- الأول(٣): العرض في هذه الآية ضرب مثل، أي إن السموات والأرض والجبال على كبر أجرامها، وشدة قوتها، لو كانت ذات شعور وإدراك بحيث يجوز تكليفها لثقل عليها تقلد الشرائع والتكاليف، وأَبَين أن يحملنها، وأشفقن منها، لما فيها من الثواب والعقاب، أي إن التكليف أمرٌ حقُّه أن تعجز عنه السموات والأرض والجبال، وقد كُلِّفه الإنسان وهو ظلوم جهول لو عقل. وهذا كقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾(٤) ثم قال: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ الآية نفسها. فإذا تقرر أنه تعالى يضرب الأمثال، وورد علينا من الخبر ما لا يخرج إلا على ضرب المثل، وجب حمله عليه.

---

(١) تفسير ابن كثير: ٣/٨٦١.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٢/٥٧، وتفسير القرطبي: ١٤/٢٤٢، وتفسير ابن كثير: ٣/٨٦١، وتفسير الشوكاني: ٤/٣٠٨.

(٣) قاله القفال، انظر: تفسير الزمخشري: ٣/٥٦٤، وتفسير البيضاوي: ٢/٢٥٤، وتفسير أبي السعود: ٧/١١٨، وفتح القدير: ٤/٣٠٩، وتفسير القاسمي: ١٣/٣٣٠.

(٤) الحشر: ٢١.

- المذهب الثاني: إن عرض الأمانة على الجمادات وإباءَها وإشفاقها من قبيل المجاز المرسل، والمعنى: إنَا عرضنا الأمانة على أهل السموات وأهل الأرض، وأهل الجبال من الملائكة، فأبين أن يحملن وزرها مثل: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾(١) أي: أهل القرية، وأهل العير(٢).

وقال قوم: إن الآية من المجاز - بنحو آخر - أي: إنا إذا قايسنا ثقل الأمانة بقوة السموات والأرض والجبال، رأينا أنها لا تطيقها، وأنها لو تكلمت لأبت وأشفقت، وهذا كما تقول: عرضت الحِمْلَ على البعير فأباه، وأنت تريد قايست قوته بثقل الحمل، فرأيت أنها تقصر عنه(٣).

وفسّر الشيخ المراغي(٤) العرض بالنظر إلى استعداد السموات والأرض والجبال، والإباء بعدم الاستعداد من قبلهن، والحمل لها من قبل الإنسان باستعداده لذلك(٥).

وانتصر جمال الدين القاسمي لمذهبه في تفسير العرض بقوله: وذهب جمع إلى أن ذلك من باب المجاز، كما بينه ابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة) وسبقه الزمخشري حيث قال: ونحو هذا من الكلام كثير في لسان العرب، وما جاء القرآن إلا على طرقهم وأساليبهم(٦).

ثم ختم كلامه في بيان معنى العرض بقوله: وبه يعلم أن من بحث في كيفية العرض عليهن، هل كان بإيداع عقل فيهن أولا، وفي تعيين زمانه وفي

---

(١) يوسف: ٨٢.
(٢) انظر: تفسير البغوي: ٣/٥٤٦، وزاد المسير: ٦/٤٢٩، والتفسير الكبير: ٢٥/٢٣٦.
(٣) انظر: تفسير ابن عطية: ٤/٤٠٢-٤٠٣، والتفسير المنير: ٢٢/١٢٩. وإلى نحو من ذلك ذهب الزمخشري والبيضاوي في تفسيرهما للآية.
(٤) هو أحمد مصطفى المراغي من علماء الأزهر (ت - ١٩٤٥م) [التفسير والمفسرون، للدكتور محمد حسين الذهبي: ٢/٥٩٠].
(٥) تفسير المراغي: ٢٢/٤٥-٤٦.
(٦) الكشاف: ٣/٥٦٤-٥٦٥.

كيفية إبائهن وإشفاقهن، وفي معنى لوم الإنسان ورميه بالظلم والجهل، بعدما عرضت عليه، وأن ظاهره التخيير إلى غير ذلك – كله فلسفة لفظية، ولَّدها عشاق الظواهر والألفاظ، الولعون في الغلو بمفرداتها، وصرف الوقت فيها جعل ذلك منتهى قصدهم ومبلغ علمهم، فضاع عليهم المعنى، ولم يهتدوا إليه – ولن يجدوا إليه سبيلاً مادام هذا سبيلهم – والله يقول الحق وهو يهدي السبيل[١].

- الثالث: (عرضنا) بمعنى أظهرنا، وعليه فإن الأمانة هي ما أودعه الله في السموات والأرض والجبال وسائر المخلوقات من الدلائل على ربوبيته أن يظهروها فأظهروها، إلا الإنسان فإنه كتمها وجحدها.

قال الشوكاني: كذا قال بعض المتكلمين مفسراً للقرآن برأيه الزائف[٢].

٢ – وذهب جمهور السلف وكثير من العلماء إلى أن الآية على ظاهرها، والعرض والإباء حقيقيان، وأن الله تعالى قد عرض الأمانة على أعيان السموات والأرض والجبال، فقال لهن: أتحملن هذه الأمانة بما فيها؟ قلن: وما فيها؟ قال: إن أحسنتنَّ جوزيتنَّ، وإن عصيتن عوقبتن، فقلن: لا يارب نحن مسخرات لأمرك، لا نريد ثواباً ولا عقاباً، وقلن ذلك خوفاً وخشية وتعظيماً لدين الله أن لا يقمن بها لا معصية ولا مخالفة، وكان العرض عليهن تخييراً لا إلزاماً، ولو ألزمهن لم يمتنعن من حملها[٣].

وعرضها على الإنسان على ذلك الشرط المذكور، فقبلها، وحملها مع ظلمه وجهله، وحمل هذا الحمل الثقيل، فانقسم الناس – بحسب قيامهم بها وعدمه – إلى ثلاثة أقسام: منافقون، قاموا بها ظاهراً لا باطناً، ومشركون تركوها ظاهراً وباطناً، ومؤمنون قائمون بها ظاهراً وباطناً.

---

(١) محاسن التأويل: ١٣/٢٢٧، ٢٣٠.
(٢) فتح القدير: ٤/٣٠٩.
(٣) هذا قول ابن عباس، وابن جريج، وقتادة وأبو العالية ومجاهد، والحسن البصري وجماعة من التابعين وأكثر السلف، انظر تفسير الطبري: ٢٢/٥٣، وتفسير البغوي: ٣/٥٤٦، وتفسير ابن كثير: ٣/٨٦١، والدر المنثور: ٦/٦٦٨-٦٧٠.

فذكر الله تعالى أعمال هؤلاء الأقسام الثلاثة، وما لهم من الثواب والعقاب فقال: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾[١] وقد أورد أصحاب القول الأول الذين تأولوا الآية على ضرب من المجاز أو ضرب المثل - اعتراضين اثنين:

- الأول: أن السموات والأرض والجبال جمادات لا تعي ولا تعقل، ولا يمكنها حمل التكاليف الاختيارية لكونها مسلوبة العقل والإدراك الذي هو مناط التكليف.
- والثاني: كيف يمكن لهذه الجمادات أن تأبى وترد ما ورد إليها من العرض الإلهي، وقد خلقت خاضعة لله عز وجل، مطيعة له، ساجدة، كما قال تعالى في السموات والأرض: ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾[٢]، وقال عن الحجارة: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾[٤] الآية.

فأجاب ابن حزم عن الاعتراض الأول بقوله:

وأما عرضه الأمانة على السموات والأرض والجبال وإباية كل واحد منهما: فلسنا نعلم نحن ولا أحد من الناس كيفية ذلك، إلا أننا نوقن أنه تعالى لم يعرض على السموات والأرض والجبال الأمانة إلا وقد جعل فيها تمييزاً لما عرض عليها، وقوة تفهم بها الأمانة فيما عرض عليها، فلما أبت وأشفقت منها، سلبها ذلك التمييز وتلك القوة، وأسقط عنها تكليف الأمانة، هذا ما يقتضيه كلامه عز وجل، ولا مزيد عندنا على ذلك[٥].

---

(١) الأحزاب: ٧٣، انظر تيسير الكريم الرحمن: ٦٢٠.
(٢) فصلت: ١١.
(٣) البقرة: ٧٤.
(٤) الحج: ١٨.
(٥) الفصل في الملل والأهواء والنحل: ١/١٥٥-١٥٦، وانظر في ذلك: تفسير البغوي: ٣/٥٤٦، وزاد المسير: ٦/٤٢٨، وتفسير القرطبي: ١٤/٢٤٤، وتفسير الجلالين: ٥٦٤.

والإجابة عن الاعتراض الثاني: هو أن الإباء، كان إباء خوف وشفقة، ولم يكن إباء ردٍّ وعصيان، قال الإمام الفخر الرازي: لم يكن إباؤهن كإباء إبليس في قوله تعالى: ﴿أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾﴾[1] من وجهين:

أحدهما: أن السجود هناك كان فرضاً، وهنا الأمانة كانت عَرْضاً.

وثانيهما: أن الإباء كان هناك استكباراً وههنا استصغاراً، استصغرن أنفسهن، بدليل قوله: ﴿وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾[2]. أ. هـ[3].

والراجح القول الأول، وهو الذي عليه أهل التفسير وجمهور العلماء[4] وصاحب هذه الرسالة (ابن كيران)، وهذا العرض والإباء والإشفاق كله حق، وقد خلق الله للسموات والأرض إدراكاً يعلمه هو جلَّ وعلا، ونحن لا نعلمه، وبذلك الإدراك أدركت عرض الأمانة عليها، وأبت وأشفقت[5].

ومثل هذا تدلُّ عليه آيات وأحاديث كثيرة، فمن الآيات الدالة على إدراك الجمادات المذكورة: قوله تعالى في الحجارة: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾[6]، فصرح بأن من الحجارة ما يهبط من خشية الله، وهذه الخشية التي نسبها الله إلى بعض الحجارة بإدراك يعلمه هو تعالى.

ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[7]، ومنها قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾[8]، إلى غير ذلك من الآيات.

---

(١) الحجر: ٣١.
(٢) الأحزاب: ٧٢.
(٣) التفسير الكبير: ٢٥/ ٢٣٦.
(٤) انظر فتح القدير: ٤/ ٣٠٩.
(٥) انظر أضواء البيان: ٦/ ٦٠٥.
(٦) البقرة: ٧٤.
(٧) الإسراء: ٤٤.
(٨) الأنبياء: ٧٩.

ومن الأحاديث الصحيحة الدالة على ذلك قصة: حنين الجذع، الذي كان يخطب عليه النبي صلى الله عليه وسلم لما انتقل بالخطبة إلى المنبر[1].

ومنها: ما ثبت في صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليَّ قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن"[2].

ثالثاً: المقصود بالإنسان ومعنى ﴿ظَلُومًا جَهُولًا﴾.

ذكر المفسرون في كتبهم من طرق عديدة أن المقصود بالإنسان في الآية الكريمة ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ ...﴾ آدم عليه السلام. قال ابن جرير فيما يرويه عن ابن عباس _ رضي الله عنهما - في الآية ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ قال: عرضت على آدم، فقال: خذها بما فيها، فإن أطعت غفر لك، وإن عصيت عذبتك. قال: قد قبلت. فما كان إلا قدر ما بين العصر إلى الليل من ذلك اليوم حتى أصاب الخطيئة[3]. وهو قول الجمهور[4].

وقيل: المراد جنس الإنسان، وهو النوع كله، مراعاة لعموم الأمانة، فيشمل الكافر والمنافق، والعاصي والمؤمن[5].

فعلى الأول يكون معنى ﴿ظَلُومًا جَهُولًا﴾: ظلوماً لنفسه، غِرّاً بأمر ربه، جهولاً بقدر ما دخل فيه[6].

وعلى الثاني يكون المعنى: أن من شأن الإنسان الظلم والجهل، يظلم بالعصيان، ويجهل ما عليه من العقاب[7]. قال الزجّاج[8]: الكافر والمنافق حملا

---

(١) انظر صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب الخطبة على المنبر: ١/٢٧٣.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة: ٤/١٧٨٢.

(٣) تفسير الطبري: ٢٢/٥٤.

(٤) انظر زاد المسير: ٦/٤٢٩.

(٥) انظر تفسير ابن عطية: ٤/٤٠٢، والقرطبي: ١٤/٢٤٦.

(٦) قاله ابن عباس والضحاك وابن جبير، انظر: المحرر الوجيز: ٤/٤٠٢، وزاد المسير: ٦/٤٢٩، وتفسير ابن كثير: ٣/٨٦١.

(٧) التفسير الكبير: ٢٥/٢٣٦.

(٨) هو الإمام أبو إسحاق، ابراهيم بن محمد بن السري، الزجاج، البغدادي، نَحْويّ زمانه مصنف كتاب " معاني القرآن ". مات سنة (٣١١هـ)، وقيل سنة (٣١٦هـ).[تهذيب سير أعلام النبلاء: ٢/٣٢].

الأمانة فخانا ولم يطيعا، ومن أطاع من الأنبياء والمؤمنين فلا يقال كان: ظلوماً جهولاً[١].

وقد وجّه الشيخ محمد الأمين الشنقيطي المعنى بقوله: الظاهر أن المراد بالإنسان آدم عليه السلام، وأن الضمير في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ راجع للفظ الإنسان مجرداً عن إرادة المذكور منه الذي هو آدم.

والمعنى: أنه – أي الإنسان – الذي لا يحفظ الأمانة كان ظلوماً جهولاً، أي: كثير الظلم والجهل، والدليل على هذا أمران:

الأول: قرينة قرآنية دالة على انقسام الإنسان في حمل الأمانة المذكورة إلى معذب ومرحوم في قوله تعالى بعده متصلاً به: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًۢا ﴿٧٣﴾﴾[٢]، فدل هذا على أن الظلوم الجهول من الإنسان، هو المعذب والعياذ بالله، وهم المنافقون، والمنافقات، والمشركون، والمشركات، دون المؤمنين والمؤمنات. واللام في قوله ﴿لِّيُعَذِّبَ﴾ لام التعليل وهي متعلقة بقوله: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾.

الثاني: أن الأسلوب المذكور الذي هو رجوع الضمير إلى مجرد اللفظ دون اعتبار المعنى التفصيلي معروف في اللغة التي نزل بها القرآن، وقد جاء فعلاً في آية من كتاب الله، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾[٣]، لأن الضمير في قوله: ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾ راجع إلى لفظ المعمر دون معناه التفصيلي. أ. هـ[٤].

---

(١) تفسير النسفي: ٣/ ٨٤.
(٢) الأحزاب: ٧٣.
(٣) فاطر: ١١.
(٤) أضواء البيان: ٦/ ٦٠٦-٦٠٧.

التعريف بالمخطوطة

هذه الرسالة بعنوان (مراجعة المولى سليمان في ردِّه تفسير البيضاوي قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ ...﴾ الآية). أثبت عنوانها ونسبتها إلى مؤلفها من هامش الورقة الأولى للمخطوطة، في المجموع الذي ذكرت فيه هذه الرسالة من الصفحة ٢٠٤ إلى ٢٠٧، إذ وردت منسوبة إلى ابن كيران، ولم أعثر لها على توثيق في مصادر ترجمته، ولا في فهارس المخطوطات، ولا يقدح ذلك في نسبتها إليه، لأن مثل هذه الرسائل الصغيرة في حجمها، والكبيرة في معانيها ومبانيها، قد يغفل عنها.

والباعث على تأليفه الرسالة – على ما يبدو من بداية رسالته – ورود كتابٍ من السلطان سليمان، يعترض فيه على تفسير العلامة البيضاوي للآية الكريمة، وكأنه يستشير ابن كيران في هذا الاعتراض بوصفه شيخاً له(١)، ومن عادة العلماء عرض مسائلهم على شيوخهم في العلم استئناساً برأيهم، فردَّ ابن كيران بدوره على كتاب السلطان سليمان بهذه الرسالة، مادحاً فيها مولاه ببعد النظر وجودة الذهن، وحسن التحقيق، وثقابة البصر والبصيرة، مؤكداً صحة ما ذهب إليه، مُكبراً حرصه على كتاب الله وتفسيره، ومثمناً اعتراضه على من يتساهل في تأويل كتاب الله وصرفه عن مراده ولو كان ذلك صادراً من إمام معتبر.

منهج ابن كيران في رسالته:

- افتتح ابن كيران رسالته بتمجيد الله سبحانه وتعظيمه، مثنياً بالصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، مثلثاً بمدح المولى سليمان (سلطان المغرب في زمانه)، مشيداً بمآثره وسعة علمه، مسوغاً مراجعة المولى سليمان واعتراضه على تفسير البيضاوي للآية الكريمة ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ ...﴾ الخ، ملتمساً العذر للإمام البيضاوي في تأويله الآية المذكورة.
- وقد عرَّف ابن كيران في رسالته الطاعة الطبيعية، وأنها الانقياد لمراد الحق سبحانه، والتسخير لما سُخِّرت له.

---

(١) انظر كتاب إتحاف المطالع: ٧/٢٤٨٧.

- فنّد تفسير البيضاوي للآية، منبهاً على أن البيضاوي قد اقتفى أثر الزمخشري وقلّده في صرف الآية عن معناها الحقيقي إلى ضرب من التأويل والمجاز، منتصراً بذلك لرأي الجمهور، مؤيداً ما ذهب إليه مولاه السلطان سليمان.
- استدلَّ في مناقشة المسألة وتوجيهها، بقواعد اللغة، وأصول التفسير، واستشهد بالحديث الشريف، وآيات الذكر الحكيم، وإعجاز القرآن الكريم، مقتفياً آثار الصحابة والتابعين.
- ثم ختم رسالته بما افتتحها به من تمجيد لله سبحانه، وتسليم على نبيِّه صلى الله عليه وسلم.

مصادر ابن كيران في رسالته

على الرغم من اعتماده - في تفسيره للآية - على سعة علمه واطلاعه على معظم كتب التفسير، التي شكلت المصدر الأساس لرسالته، إلا أنه ذكر بعض هذه المصادر، ونص عليها صراحة، في معرض مناقشته واحتجاجه مثل:

١ - الكشاف، للزمخشري (ت ٥٢٨هـ).

٢ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (ت ٧٩١هـ).

٣ - الدر المنثور في التفسير المأثور، للسيوطي (ت ٩١١هـ).

٤ - مراجعة المولى سليمان في اعتراضه على تفسير البيضاوي للآية المذكورة (ت ١٢٣٨هـ).

وصف نسختي التحقيق

اعتمدت في تحقيق هذا النص وإقامة متنه على نسختين اثنتين: الأولى: نسخة الرباط، الخزانة العامة، المرقمة ١٠٧٢، وتقع في خمس صفحات، ضمن مجموع (١٣٩-١٤٣)، عدد أسطر كل صفحة (٢١) سطراً، عدد كلمات كل سطر (١٣) كلمة تقريباً، وهي نسخة نفيسة، كتبت بخط مغربي، ولم يذكر تاريخ نسخها، ولا اسم ناسخها، وقد اتخذت هذه النسخة أصلاً لنفاستها،

ولأنها قليلة التصحيف والتحريف، فإذا قلت في حواشي التحقيق نسخة الأصل، فمرادي هذه النسخة.

الثانية: نسخة الرباط، الخزانة العامة أيضاً، ذات الرقم (٢٥٩٤) وتقع في أربع صفحات، ضمن مجموع (٢٠٤-٢٠٧)، كتبت بخط مغربي، في كل صفحة (٢٥) سطراً، في كل سطر (١٥) كلمة، لا ندري شيئاً عن تاريخ تأليفها، وتاريخ نسخها وناسخها، ولا تخلو من تصحيف وتحريف، وهي أقل وضوحاً من نسخة الأصل، وقد رمزت لها بـ (ر) نسبة لمدينة الرباط، فإذا قلت في حواشي التحقيق نسخة (ر) فمرادي هذه النسخة.

وقد حصلت على هاتين النسختين من مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث الأولى برقم (٢٩٢٥)، والثانية برقم (٣٢٢٤)، فلمؤسسه والقائمين عليه من الله عظيم المثوبة وكريم الجزاء، ولهم مني خالص الشكر مصحوباً بصادق الدعاء.

منهج التحقيق

١ - قمت بكتابة النسخة التي اخترتها أصلاً على وفق قواعد الإملاء الحديثة، وقابلت عليها نسخة (ر)، وأثبت الفروق بينهما في الهامش.

٢ - أثبت ما بين معقوفين من نسخة (ر)، ولم أنبه على ذلك في هوامش التحقيق.

٣ - عزوت الآيات الكريمة إلى أماكنها من السور، مشيراً إلى أرقامها فيها، واتبعت في كتابتها الرسم العثماني، ووضعتها بين قوسين مزهرين، أما أجزاء الآيات عند تكرار ورودها، فأكتفي بعزوها أول مرةٍ فقط، إلا إذا مست الحاجة إلى ذلك في حال البعد مثلاً.

٤ - ترجمت للأعلام غير المشهورين الذين وردت أسماؤهم في النص ترجمة مختصرة، وأحلت على موارد ترجمتهم.

٥ - عزوت النقول والأقوال الواردة في النص إلى أصحابها.

٦ - أثبت أرقام أوراق المخطوطة في أول كل صفحة من صفحات الأصل، مشيراً بـ (و) إلى وجه الورقة، وبـ (ظ) إلى ظهرها.

٧ - خرَّجت الأحاديث الشريفة من كتب الحديث المعتمدة، وأتممت كتابة نصها كاملاً.

٨ - نسبت الشعر لقائله وعزوته إلى مصدره، وهو بيت واحد من الشعر.

٩ - شرحت المفردات الصعبة، وذكرت معناها من معاجم اللغة.

وفي الختام أشكرُ كلَّ من قدّم لي مساعدة أو إرشاداً أو قدم لي معلومةً أو كتاباً، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وهو خلاف الظاهر ثم شكبه الزمخشري بما نقول ليس خلق
الادراك والفهم لها ولا مثالا بعد بين الشريعة بل هو اكثر
من ان يحصى وانظر قوله فقال لها وللارض ائتيا طوعا او
كرها قالتا اتينا طائعين وان من شيء الا يسبح بحمده
بل محصل الاشارات ان جمادية الجمادات انما هي بالنسبة
الينا لا بالنسبة لمعرفة الخالق والله اعلم وزاد البيضاوي
وجهاء لتفسير الاية فقال ولعل المراد بالامانة العقل والتكليف
واعتبارها بالاضافة الى استعدادهن وبابائهن الاباء
الطبيعي الذي هو عدم اللياقة والاستعداد وبحمل الانسان
قابليته واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من
القوة الغضبية والشهوية وعلة حمله لها انه من فوائد
العقل ان يكون مهيمنا على القوتين حافظا لهما عن التعدي
ومجاوزة الحد ومعظم مقصود التكليف تعديلهما وكسر سورتهما
هـ

الحمد لله الهادي من يشاء الى صراط مستقيم، المبيح مجال سعادة
الدارين على من اصطفاه بفضله العميم، والصلاة والسلام على
سيدنا محمد ذي الخلق العظيم، والمورد السائغ كل ذي وصف
كريم، وعلى آله اولي الفخر الصميم، وصحابته ذوي المنصب
العظيم، وبعد فقد بلغني كتاب مولانا فخر الاسلام، وعز
الملوك المشرقين، مبنيا على عقود جمان لم ير في عصره مثالها ،

صورة الصفحة الأولى من "الأصل"

كان ظلوما جهولا أي ظلوما بما جهولا عن عقبه ليعذب الله المنافقين والمنافقات
والمشركين والمشركات قال هاذان اللازمان فانهما ويتوب الله على
المومنين والمومنات قال هاذان اللازمان ادبا ما وكان الله غفورا رحيما
ما الاستعمال في قوله الخلق ونوع منها من نحو التخيير ومقدم
التحكيم وبه يشبه بعض الحرفي قوله فقل لا تطيعون ذلك من نحو
أن لا باب ابا عنوف واشيا لطريق السلامة وقد ذكرنا حكاية محمد بن
كعب مع عمر بن عبد العزيز وقول ابن عباس فكبروا واشفقوا
من غير معصية ولكن تعظيما لدين الله ان لا يقوموا بها وبالله
تعالى التوفيق وهو الهادي الى سواء الطريق

للشيخ العلامة ... سيدي محمد بن الحاج السلمي

الحمد لله مسولة تعلق حكاية عن فرعون وما رب العالمين حصل على ثلاثة
اوجه الاول انه سؤال عن الجنس اي عن جنس هو من الاجناس التي
شوهدت وعرفت لاعتقاد فرعون لجهله بالله تعالى ان لا موجود
مستقلا بنفسه سوى الاجسام كما هو اعتقاد الجهال الذين لا نظر
لهم سديد في معرفة الاشياء ولهذا اعرض عن جواب موسى على
نبينا وعليه الصلاة والسلام واجاب بالوصف وهو غير ما تطلب
منه الرب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين فيذكر وصفا
يدل على ان حقيقته منزهة عن صفات الممكنات مشيرا الى ان اعتقاد
فرعون ليس من الايمان في شيء الذين كانوا في ربوبيته مسلمين
نعم يرى مخاطبته واشارته الى جهالته وغباوته وحث بان ذكر
على النظر المودي الى العلم اليقيني بذاته وصفاته فانه قال

صورة الصفحة الأخيرة من "الأصل"

صورة الصفحة الأولى من نسخة "ر"

صورة الصفحة الأخيرة من نسخة "ر"

/ ١٣٩ظ/ [بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وآله]

الحمد لله الهادي من يشاء إلى صراط مستقيم، المفيض سجال سعادة الدارين على من أهَّله لفضله العميم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ذي الخلق العظيم، والمدد الساري في كل ذي وصفٍ كريم، وعلى آله أولي المجد الصميم(١)، وصحبه ذوي(٢) المنصب الفخيم، وبعد:

فقد بلغني(٣) كتاب مولانا(٤) فخر السلاطين، وغرة الملوك المهتدين، فنثر عليّ عقود جمان لم يكن لي عهد بمثالها(٥)، / ١٤٠و/ وحشا مسامعي بنفائس دررٍ لولاه لم يكن طمعٌ لمثلي بمثالها(٦)، فلقد أجاد النظر، وأحسن الورد والصدر، وحقق فبهر، وبحث فأبرز ما استتر، فلله دره من إمام جامع لأحاسن(٧) المحاسن، وهُمام به رُدَّ عجُزُ هذه الأمة على صدر ماء ورَادَ(٨) العلم والتقى أنهاراً، من ماءٍ غير آسنٍ، ثم إنه أثار من مسرتي وهزّ من عطْفي ما ألبسني بثنائه من حلي وحللٍ أضافها إليّ، وجعلها وصفي، وما هي إلا إضافة تخصيص وتعريف، وجزءٍ يزيد رفعاً في محله المنيف، والله يعلم مني ما أرجو أن يسبل عليه ستر الفضل والمغفرة، وأنه لا يبديه(٩) لمن أفتضح بينهم في الدنيا والآخرة(١٠) بمنّه ويمنه.

---

(١) الصميم: الخالص، يقال: هو من صميم قومه، إذا كان من خالصهم، [انظر لسان العرب، مادة (صَمِمَ): ٤/ ٢٥٠٣).
(٢) ر: ذي.
(٣) القائل: هو ابن كيران، صاحب الرسالة، وقد سبقت ترجمته.
(٤) المقصود به: السلطان سليمان، وقد سبقت ترجمته.
(٥) ر: لا عهد لي بمثالها.
(٦) ر: لا طمع لمثلي لولاه بمثالها.
(٧) ر: لإحسان.
(٨) ورَاد: من قوم ورَادين، ورجلٌ واردٌ من قوم ورّادٍ، وكل من أتى مكاناً منهلاً أو غيره، فقد ورده. [انظر لسان العرب، مادة (ورَدَ): ٦/ ٤٨١٠].
(٩) من ر. وفي الأصل: يبده.
(١٠) ر: ولا في الآخرة.

ولنرجع إلى المقصود فنقول:

ما اعترض به سيدنا[١] على البيضاوي، وارد عليه أيَّ ورودٍ، عند تحكيم العبارة، ومنعها من الانحراف والشّرود، والجري على مقتضى اللفظ إفراداً وتركيباً، والأخذ بمغزاه سياقاً وترتيباً، وبأدنى أدنى من ذلك يناقش العلماءُ بعضُهُم بعضاً، ويؤاخذُ النقّاد البصراءُ من يتساهل في التفسير ولا يحترز عما يوهم مالا يُرضَى.

لكن لمعتذر يرى صدور مثل تلك العبارة عمن يشار إليه بالبنان في ميدان[٢] التحقيق وحسن البيان، أن يصرفها عن السماحة، ويعالجها بتأويل تمسُّ إليه الحاجة، فلعلَّ مراد البيضاوي أن الآية يصحُّ فيها ذلك الحمل على ضرب من التأويل، وهي أن تكون من باب التصوير والتمثيل، فلا يكون ثمَّ عرضٌ ولا اختبارٌ ولا إباءٌ ولا إشفاقٌ على الحقيقة، ولا عرضٌ على الإنسان أيضاً، وقبولٌ منه على تلك الطريقة، وإنما المعنى: أنّ الله تعالى له حكمة بالغة في كلِّ شيء، فكما ميَّز بين المخلوقات بالذَّوات والهيئات، ميَّز بينها في الخواصِّ والصفات، فخلق السموات والأرض والجبال على صفة لا يليق بها التكليف بالأفعال الاختيارية، وترتُّب الثواب والعقاب، وعلم منها أنها لا تصلح لذلك، وإنما تصلح للطاعة[٣] الطبيعية دون الاختيارية /١٤٠ظ/ المتعلق بها التكليف.

والطّاعة الطبيعية: هي الانقياد لمراد الحق سبحانه والتسخّر لما سخّرت له، كالأرض لإخراج أنواع النبات، والمعادن، وجري الأنهار، والبحار، وكونها مقراً للحيوانات، وحفر الآبار وغيرها، والعمل فيها بالمعاول والأبنية والزراعات إلى غير ذلك، وعلى هذا القياس غيرها.

وخلق الإنسان على صفة يصلح بها للتكليف[٤] والإلزام بالأفعال

---

(١) المقصود به: المولى سليمان.
(٢) ر: مديان. وهذا تصحيف من الناسخ.
(٣) ر: للطاعات.
(٤) ر: التكليف.

الاختيارية، فتتأتى[١] منه الطاعة الاختيارية والعصيان، فيظهر أثر التكليف فيه بعصيانه بظلمه[٢] وجهله. ولذا عقّبه بقوله [تعالى]: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾. إذ بهذه الجهة امتازت أمانة التكليف عن أمانة الطاعة الطبيعية، فإن مطلق الطاعة موجودٌ فيهما، لكنها اختيارية في التكليف، وقهرية في سوق القدرة المخلوقات لما أريد منها، ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾[٣] فتهيأ الإنسان للتكليف بالجهة التي بها التمايز.

فمحصول الآية على هذا الوجه الذي أراده البيضاوي أن الله تعالى خلق تلك الجمادات على صفةٍ لا تصلح للتكليف، وعلم منها ذلك، وخلق الإنسان على صفة تصلح للتكليف، وعلم منه ذلك فكلَّفه، وأن ذلك هو مقتضى حكمته في الكل، كما يفيده نسبة هذا الفعل إلى ضمير عظمته في قوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ إلخ، ثم يرد[٤] أن يقال: إذا أريد ما ذكر[٥] فلم لم يصرح بالجَعْلِ والعلم المرادين؟ لأن المعنى في أنَّا خلقنا السموات والأرض والجبال بصفات علمنا أنها لا تصلح معها للتكليف، وخلقنا الإنسان بصفةٍ علمنا أنه يصلح معها للتكليف، ويترتب عليه مقصوده. ويجاب بأنه لو صرّح بذلك لم يبق غير هذا الاحتمال من الوجوه الأُخر، ومعاني القراءات متسعةٌ متعددة متنوعة على حسب ما يقبله اللفظ في العربية، والكلّ مقصودٌ، ولذا[٦] غزرت علومه، ولم تنقضِ عجائبه في الدارين، فلا يزال المفكرون فيه يأخذون منه /١٤١و / المعاني وتظهر لهم منه الأسرار الدقائق والحكم إلى الأبد، كما قيل[٧]:

---

(١) ر: فيتأتى منها.
(٢) من ر. وفي الأصل: وظلمه.
(٣) الرعد: ١٥. وما أثبتناه من المصحف الشريف ومن (ر). وفي الأصل (ومن في الأرض).
(٤) ر: فرض.
(٥) ر: إذا أريد ذلك.
(٦) ر: لذلك.
(٧) أبو نواس، ديوانه: ٢/ ٢٩. والمعنى: إنَّ وجهه لما فيه من نهاية الحسن وغاية الكمال، كلما كررت النظر فيه زاده الله عندك حسناً وبهاءً، مع أن تكرار النظر إلى الشيء قلّما يحلو. [معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، لعبد الرحيم بن أحمد العباسي: ١/ ٨٠].

يـــزيـــدك وجـــهـــه حـــســـنـــاً إذا مـــا زدتـــه نـــظـــرا

كما قاله[1] الشّعراني[2] والسّنوسي[3] وغيرهما. وهو مفاد مافي حديث علي مرفوعاً " ولا تنقضي عجائبه "[4] ثم يقال: هذا إنَّما يقتضي عدم الإتيان بما هو صريح في ذلك المعنى بخصوصه، لكن يبقى ما هو أعمُّ وأوسع مما عليه نظم الآية، فما النكتة في ذكر العَرْضِ والإباء والإشفاق على هذا الوجه؟ قلنا: أمَّا العرض والإباء فللدَّلالة على أنَّ المانع من قابلية التكليف للسموات والأرض والجبال أمرٌ من ذاتها وحقيقتها وطبيعتها لا من خارجٍ كالعصيان،

---

(١) ر: قال.

(٢) هو عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي، نسبة إلى محمد بن الحنفية، أبو المواهب الشعراني، له تصانيف كثيرة، منها " الطبقات الكبرى " و" الطبقات الصغرى" و "البحر المورود في المواثيق والعهود" توفي سنة ٩٧٣هـ.[الأعلام: ٤/ ١٨٠].

(٣) هو محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي الحسني من جهة الأم، أبو عبد الله، عالم تلمسان في عصره وصالحها، له تصانيف كثيرة، منها " تفسير سورة ص وما بعدها من السور " و " شرح صحيح البخاري " لم يكمله، و "عقيدة أهل التوحيد ط " ويسمى العقيدة الكبرى، ومؤلفات أخرى، توفي سنة ٨٩٥هـ. [الأعلام: ٧/ ١٥٤].

(٤) أصل الحديث في جامع الترمذي من رواية الحارث الأعور قال: مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث، فدخلت على عليٍّ، فقلت: يا أمير المؤمنين ألا ترى الناس قد خاضوا في الأحاديث؟ قال: أو قد فعلوها؟ قلت: نعم، قال: أما إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " ألا إنها ستكون فتنة، فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبارٍ قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يَخْلُقُ عن كثرة الرَّدِّ، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجنُّ إذْ سمعته حتى قالوا: إنّا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به. من قال به صدق، ومن عمل به أُجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراطٍ مستقيم " خذها إليك يا أعور.

قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات، وإسناده مجهول. وفي حديث الحارث مقال. [تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، باب ما جاء في فضل القرآن: ٨/ ١٧٥].

فكأنَّها اختبرت[١] هل تقبل؟ فلم تقبل، وأبت لذاتها، ولذا لم تعلل إبايتها بشيء زائد على ذاتها، كما علل ظهور أثر التكليف في الإنسان بقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾. والعرض والاختبار في حقّه تعالى ليس على حقيقته كما في قوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[٢]، وأمَّا الإشفاق الذي هو الخوف فذكر تنبيهاً على أنَّهُنَّ لما دَأَبْنَ في الطاعة الطبيعية التي هي سَوقُ القدرة إيَّاهنَّ لما خلقن له صار حالهن كحال مطيع دأبه في الطاعة خائف من المعصية وأسبابها، ومن جملة أسبابها: ماهو عرضة للمخالفة من التكليف، فكأنها تعوذت منه حذراً أن تقع في المخالفة.

وهذا الوجه الذي زاده وإن كان فيه غموض وخفاء، يغتفر فيه ذلك؛ لأنه لم يقتصر عليه حتى يقال: اقتصر على البعيد دون القريب، كما فعل الزَّمخشريُّ حيث ترك الوجه الوجيه الذي عليه الأكثر وهو الحقيقة[٣] إلى الوجهين[٤] اللّذينِ لم نر من سبقه إليهما.

والبيضاوي ذكر الأوجه الثلاثة[٥]، ثم زاد رابعاً من عنده على أنه احتمال،

---

(١) من (ر). وفي الأصل: أخبرت.

(٢) الملك: ٢.

(٣) الوجه الذي عليه جمهور المفسرين هو أن عرض الأمانة على أعيان السماوات والأرض والجبال عرض حقيقي ليس فيه إلزام وتحتيم، بل عرض تخيير، فكان الإباء منهن إباء خوف وشفقة لا إباء ردٍّ وعصيان، ثم عرض ذلك على الإنسان من بعدهن فتحملها، فكان؟ ظلوماً جهولاً؟. [انظر كتب التفسير في هذا الوجه، وقد سبق تخريجه].

(٤) الوجه الأول: المراد بالأمانة: الطاعة. وعرضها على الجمادات وإباؤها وإشفاقها: مجاز. ومعنى؟ فأبين أن يحملنها وحملها الإنسان؟ فأبين إلا أن يؤدينها، وأبى الإنسان إلا أن يكون محتملاً لها لا يؤديها.
الوجه الثاني: المراد بالعرض على الجمادات وإبائها وإشفاقها: ضرب مثل.
والمعنى: أن ما كلفه الإنسان بلغ من عظمه وثقل محمله أنه لو عرض على أعظم ما خلق الله من الأجرام وأقواه وأشده، أن يتحمله ويستقل به لأباه، وأشفق منه، وحمله الإنسان على ضعفه ورخاوة قوته؟ إنه كان ظلوماً جهولاً؟ حيث حمل الأمانة ثم لم يف بها، وضمنها ثم خاس بضمانه فيها. [انظر: تفسير الزمخشري: ٣/ ٥٦٤-٥٦٥، وتفسير البيضاوي: ٢/ ٢٥٤].

(٥) أي الوجه الذي عليه جمهور المفسرين، والوجهين اللذين ذهب إليهما الزمخشري.

وعبر عنه بأداة الترجي، فقال ما نصه: " ولعلَّ المراد بالأمانة العقل والتكليف، وبعرضها عليهن اعتبار ما بالإضافة إلى استعدادهن، وبإبائهن الإباء الطبيعي الذي هو عدم اللياقة والاستعداد /١٤١ظ/، وبحمل الإنسان قابليته واستعداده لها، وكونه ظلوماً جهولاً لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية، وعلى هذا يصلح أن يكون علة للحمل عليه، فإن من فوائد العقل: أن يكون مهيمناً على القوتين، حافظاً لهما عن التَّعدّي ومجاوزة الحدود، ومعظم مقصود التكليف تعديلهما وكسر سورتهما"[(١)]. هذا لفظه، ولا يخفى تنزيل ما قررناه عليه. ومعنى قوله: وعلى هذا يصلح أن يكون علة للحمل عليه، أنه على تفسير حمله الأمانة بقابليته واستعداده يصلح أن يكون ظلمه وجهله علة لحمل الأمانة عليه، أي: تكليفه برعايتها، فإنه إذا كان معه ما يقاوم القوتين الغضبية والشهوية اللتين بهما يكون ظلوماً جهولاً، وذلك المقاوم هو العقل المفهوم من لفظ الإنسان؛ لأنه الحيوان العاقل، كان قابلاً للتكليف متصوراً من الطاعة والعصيان والموافقة والمخالفة، والتكليف إنَّما هو لإظهار أمرهما.

هذا كله ما سنح لفكر القاصر في حَلِّ عبارته، وبيان رمزه وإشارته وتوجيه عبارته الموهمة التي لم يكن من حقه أن يترك وجهها غير سافر، ومغزاها غير ظاهر، حتى كانت جديرة بالاعتراض، ومعالجة ما يلوح عليها من الأمراض والله [تعالى] أعلم.

وأمَّا ما وجه به مولانا المؤيد بالذِّهن النفاد، والفهم الوقاد، الإباء على تفسير الجمهور، المتضمن أن العرض والإباء حقيقيان، من أن الإباء ليس مخالفة، ولكنه إباء خوف وإيثار لطريق السلامة لما فهمنا أن المراد من العرض التخيير، لا العزيمة والتحتيم.

فهذا مما تفطن له سيدنا بنور بصيرته، وجودة[(٢)] قريحته، على المألوف

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي: ٢/ ٢٥٤.
(٢) ر: وجودية.

من عادته، ويوافقه مافي الدر المنثور[١] [عن قتادة] في الآية أن[٢] الأمانة: الدين، والفرائض، والحدود. فقيل لهنَّ: أتحملنها وتؤدين حقها؟ فقلن: لا نطيق ذلك ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾، قيل له: أتحملها؟ قال: نعم. قيل له: أتؤدي حقها[٣]؟ قال: نعم. فلذلك قال الله [تعالى]: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ /١٤٢و/ أي: ظلوماً بها، جهولاً عن حقها. ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾[٤] قال: هذان اللذان خاناها، ﴿وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[٥] قال: هذان اللذان أدياها، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾[٦].

فالاستفهام في قوله: أتحملنها وتؤدين حقها صريح في التخيير وعدم التحتيم، وبه يشعر لفظ العرض. وقوله: فقلن: لا نطيق ذلك، صريح في أنَّ[٧] الإباء إباء خوفٍ وإيثار لطريق السَّلامة.

وقد ذكرنا حكاية[٨] محمد بن كعب مع عمر بن عبد العزيز، وقول ابن عباس: فكرهوا وأشفقوا من غير معصية، ولكن تعظيماً لدين الله أن لا يقوموا بها[٩].

وبالله تعالى التوفيق، وهو الهادي إلى سواء الطريق.

[وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً: والحمد لله رب العالمين].

---

(١) للسيوطي: ٦/ ٦٧٠.
(٢) (في الآية أن) ساقط من (ر).
(٣) (فقلن لا نطيق ذلك ... حقها) ساقط من (ر).
(٤) الأحزاب: ٧٣.
(٥) الأحزاب: ٧٣.
(٦) الأحزاب: ٧٣.
(٧) ر: بأن.
(٨) الدر المنثور: ٦/ ٦٧٠. وفيه " أنَّ عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه عرض العمل على محمد بن كعب فأبى، فقال له عمر: أتعصي؟ فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن الله تعالى حين عرض الأمانة على السموات والأَرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقنَ منها، هل كان ذلك منها معصية؟ قال: لا. فتركه ".
(٩) انظر تفسير ابن كثير: ٣/ ٨٦١.

الخاتمة

نستنتج من هذا البحث عدة أمور، أهمها:

- إن الأمانة تعم جميع وظائف الدين وتكاليفه، وقبول الأوامر والنواهي.
- خشية الجمادات[1] من ربها، وتعظيمها لخالقها، واستشعارها لعظم الأمانة وثقلها، جعلها تشفق على نفسها من حملها. وهذه الخشية من الجمادات لربها، يترجمها قوله سبحانه: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾[2].
- لم يكن إباء السموات والأرض للعرض الإلهي إباء ردٍّ وعصيان، بل إباء خوفٍ وشفقه، وأن العرض بحمل الأمانة، كان اختيارياً وليس إلزامياً.
- جهل الإنسان بربه، وبظلمه لنفسه، جعله يقبل حمل الأمانة، بما فيها من تكاليف وثواب وعقاب.
- حرص علماء المسلمين على الفهم الصحيح لكتاب الله سبحانه وتعالى، والذود عنه، حتى ولو في مجرد فهم بسيط، لآية من كتاب الله، يستشعر منه البعد عن الصواب، ولو قليلاً، وعدم سكوتهم على أي فهم خاطيء، ولو كان يسيراً، يدلف به أحد العلماء إلى ساحة الكتاب الحكيم.

  وهذا الحرص الشديد:ما هو إلا من قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[3].
- اهتمام الولاة والسلاطين والأمراء.. بالعلم والعلماء، وحسن فهم كتاب الله تعالى، والدفاع عنه، بالرغم مما كان يشغلهم من جهادهم في ميادين الحروب و الدفاع عن البلاد، وميادين الحكم و مصالح العباد، مما يشعر بثقل المسؤولية – في أيامنا هذه – على الحكام والولاة، وضرورة إحساسهم بذلك، وقيامهم بواجباتهم، وعدم تخليهم عن صيانة الحرمات، والذود عن المقدسات.. إن في ميادين العلم، بتشجيعهم لأهله، وانفاقهم عليه، أو في ميادين الحروب، بعدم الخوف من الأعداء،وضرورة امتلاك القوة وأدواتها.

---

(١) – المقصود بالجمادات هنا: السموات والأرض.

(٢) الحشر: ٢١.

(٣) الحجر: ٩.

مراجع البحث

١ - إتحاف المُطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع، عبد السلام بن عبد القادر بن سوحلة، (دار الغرب الإسلامي، بيروت: ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م).

٢ - إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت: بدون).

٣ - الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، أحمد بن خالد الناصري، (دار الكتاب، الدار البيضاء: ١٩٥٦).

٤ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، (عالم الكتب، بيروت: بدون).

٥ - الأعلام، خير الدين الزركلي، (ط٧، دار العلم للملايين، بيروت: ١٩٨٦م).

٦ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر البيضاوي، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م).

٧ - البداية والنهاية، إسماعيل بن كثير، (ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م).

٨ - تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م).

٩ - تفسير الجلالين، جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، (دار الهجرة، دمشق: ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م).

١٠- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير (ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).

١١- تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، (دار إحياء التراث، بيروت: بدون).

١٢- التفسير والمفسرون، د. محمد حسين الذهبي (ط٢، دار الكتب الحديثة، القاهرة: ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م).

١٣- التفسير المنير، د.وهبة الزحيلي، (دار الفكر، بيروت: ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م).

١٤- تهذيب سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، (ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤١٢هـ / ١٩٩١م).

١٥- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، (ط٧، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م).

١٦- جامع القرآن عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، (دار الفكر، بيروت: ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م).

١٧- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (ط١، دار الحديث، القاهرة: ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م).

١٨- الدر المنثور في التفسير المأثور، عبد الرحمن السيوطي، (دار الفكر، بيروت: ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م).

١٩- ديوان أبي نواس، الحسن بن هانئ الحكمي، تحقيق إيفالد فاغنر، (دار النشر، فيسباون: ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م).

٢٠- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي، (ط٤، بيروت: ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م).

٢١- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، محمد بن جعفر الحسني الكتاني، (بدون).

٢٢- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد مخلوف، (دار الفكر، بيروت: بدون).

٢٣- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري المشهور بابن العماد، (ط١، دار ابن كثير، بيروت: ١٤١٢هـ / ١٩٩١م).

٢٤- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، (المكتبة العصرية، بيروت: ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م).

٢٥- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، (دار الكتب العلمية بيروت: ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م).

٢٦- طبقات الشافعية، ابن قاضي شهبة، (دار الندوة، بيروت: ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م).

٢٧- طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين، عبد الوهاب السبكي، (ط١، مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه: بدون).

٢٨- طبقات المفسرين، محمد بن علي الداودي، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).

٢٩- فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، (دار المعرفة، بيروت: بدون).

٣٠- الفِصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن حزم الأندلسي، (ط١، مكتبة عكاظ، الرياض، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م).

٣١- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، (المكتبة العلمية، المدينة المنورة: بدون).

٣٢- فهرس الفهارس والأثبات، عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، (ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت: ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م).

٣٣- لسان العرب، ابن منظور، (دار المعارف: بدون).

٣٤- محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، (ط٢، دار الفكر، بيروت: ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م).

٣٥- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٣هـ م ١٩٩٣م).

٣٦- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أحمد بن محمود النسفي، (دار الكتاب العربي، بيروت: بدون).

٣٧- معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي، (ط١، دار المعرفة، بيروت: ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).

٣٨- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، عبد الرحيم بن أحمد العباسي، (مطبعة دار السعادة، مصر: ١٣٦٧هـ / ١٩٤٧م).

٣٩- معجم طبقات الحفاظ والمفسرين، عبد العزيز عز الدين السيراون، (ط١، عالم الكتب، بيروت: ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م).

٤٠- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، (دار إحياء التراث، بيروت: بدون).

٤١- مفاتيح الغيب، محمد بن عمر الرازي، (ط٣، دار الفكر، بيروت: ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).

٤٢- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده، تحقيق كامل بكري، وعبد الوهاب أبو النور، (دار الكتب الحديثة، القاهرة: بدون).

٤٣- هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي، (دار الفكر، بيروت: ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م).

المصادر المخطوطة

٤٤- الإتحاف بتمييز ما تبع فيه البيضاوي صاحب الكشاف، محمد بن يوسف المعروف بالشمس الشامي، (نسخة الظاهرية بدمشق).

٤٥- مناقشة مع الزمخشري في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ ...﴾ الآية، محمد الطيب بن كيران (نسخة الخزانة العامة / الرباط).